

أنشودة كفاح

أ.د. لطيفة حسين الكندري

إن إنتاج أي عمل فني يتصف بانتقاء الجمل والألحان والأداء من الصعوبة بمكان، ولكن الانتاجات الفنية القديرة هي التي تشق طريقها نحو المجد بجد في دنيا الفنون، وتجذب نحوها كافة شرائح المجتمع للاستمتاع بفنها الفريد الراقي. حضرتُ يوم الأربعاء الماضي أمسية موسيقية غاية في الجمال والأناقة في مجملها وذلك ضمن أنشطة مركز الشيخ جابر الأحمد الثقافي الشامخ ببرامجه الاجتهادية الموفقة في أصالتها وعالميتها. تشكل "مذكرات بحار" أساسا فنيا رائدا وعميقا في فنوننا الشعبية، وفي سبيل ذلك تضافرت الجهود واتحدت الأيادي القوية، والأصوات الندية خلف الأفكار السامية فصاغت من ذلك كله لحنا متناغما ساحرا بيانه وأدائه ومعانيه ومراميه وتتطلع إلى رؤية المزيد من الاتقان. هذه هي محاسن العادات التي تتناقلها الأمم لتصبح أنشودة عذبة في فم وسمع وضمير الزمن تتداولها الأجيال.

خاطبت الأمسية أعماق وجداننا، وأغوار ذاكرتنا. الأعمال الغنائية التي تجسد الفولكلور الشعبي وتغرس أنغامها المشاعر الوطنية وقيم العمل والايمان وتقدير كفاح الأجداد تستحق فعلا الثناء كي يستمر العطاء ونقدر نعمة الوطن فالألحان الشجية سفينة أمنة لحفظ أنشودة الكفاح. عشنا في تلك الأمسية الساجية مع همسات الأمهات، وقلق الآباء، وتجليات النهام، والغواص، والسيب، والنوخدة، وتكاتف مجتمع السفينة، والأمل الذي ظل شاخصا بارزا في كل لوحة من لوحات العرض. الأمسية بكل تفاصيلها سكنت فؤادي، وعانقت أعماقي، وأسعدت جوارحي كيف لا ومعظم كلمات الأوبريت من محفوظاتي منذ طفولتي أرددها في خلواتي وأسرده لأحفادي حديث السندباد. إن الفن الشامخ يرتقي بالمجتمع فكرا وشعورا وممارسة.

ويصف الزميل د. فهد الفرس تلك الأمسية المتألقة بقوله لقد سمعنا وشاهدنا تجديدا لألحان خالدة مازالت بالذاكرة وتتناقل من جيل إلى جيل لأنها تمثل الروح والهوية الكويتية سواء من الكلمة والجملة اللحنية، والإيقاعات الكويتية، والرقصات الشعبية، تلك الألحان التي يرتقي بها المجتمع. عبارة د. الفرس باختصار شديد تدل على دقة الفكرة النابعة من إحساسه العميق المرهف، وذوقها الفني الجميل الراقي.

ومن جانب آخر وبخلاف ما سبق هناك نفر يعتقد أن المسرحيات الموسيقية والحفلات الغنائية ليست ذات قيمة ويقتنص الفرص للانقضاء على أي هفوة أو خطأ في هذا المسار ولا يؤمن بالميراث الفعلي الذي يتمتع به تاريخ البلد فولكلوريا. إن من وظائف الفن ترسيخ الهوية الوطنية و غرس القيم الجمالية والإنسانية ورفع الذائقة السمعية والبصرية والفكرية والحركية.

تستحق الموروثات الشعبية عناية فائقة ويتعين توظيفها بحكمة وانتظام في بث ساعات السعادة والبهجة والطرب في أجواء المودة والاعتزاز بكفاح السلف وتجديد العزائم لمواصلة الطريق بمزيد من المآثر على وجه يشرف الوطن، ويشرق بالأمل. "مذكرات بحار" من قصائد الشاعر الكويتي محمد الفايز الذي يقول إن "صاحب الشأن من له أثر" فمن لا أثر له لا شأن له وهكذا الأعمال الفنية والفكرية والثقافية.

dr.latefah@yahoo.com

dralkandery@